﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ٤٤﴾ [الحجر: 44]

تعدُّد أبواب جهنَّم لاستقبال الغاوين

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لمّا ذكرَ اللّه تعالى أنَّ جهنَّم موعد الغاوين؛ بيَّن أنَّهم متفاوتون فيها، فما أُجمل في الآية السابقة؛ جاءت هذه الآية بيانًا وتوضيحًا لما تقدَّم[1]، أو يقال: لما أخبر سبحانه في الآية السابقة أنَّ جهنَّم موعد الغاوين ومقر اجتماعهم؛ بَيَّنَ في هذه الآية أنَّهم جميعًا يدخلونها مع كثرتهم؛ لأنَّ لها أبوابًا كثيرةً تَسَعُهُم.

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَّقۡسُومٌ﴾: أصلُ (قسم): يَدُلُّ على تَجْزِئَةِ شَيْءٍ من أجل ضَمِّ الأجزاء إلى الأشخاص[2]. القَسْمُ: مَصْدَرُ قَسَمْتُ كذا قَسْمًا وقِسْمَةً، وقِسْمَةُ الميراث، وقِسْمَةُ الغنيمة: تفريقهما على أربابهما، والنَّصيبُ قِسْمٌ بِكَسْرِ القافِ، فَأمّا اليَمِينُ؛ فالقَسَمُ، قالَ أهْلُ اللُّغَةِ: أصْلُ ذَلِكَ مِنَ القَسامَةِ، وَهِيَ الأيْمانُ تُقْسَمُ على أوْلِياءِ المَقْتولِ إذا؛ ادَّعَوْا دَمَ مَقْتولِهِمْ على ناسٍ اتَّهَموهُم به[3]. والمرادُ بالقَسْمِ في الآية: أن الغاوين يُجَزَّؤون، وتُقسَم أجزاؤهم على أبواب جهنم.

المَعْنى الإجْماليُّ:

إنَّ في جهنَّم دركاتٍ ومنازلَ أعدَّها الله تعالى لأتباع إبليس

بيَّن اللّه تعالى أنَّ لجهنَّم سبعةَ أبواب، لكلِّ باب من أتباعِ إبليسَ نصيبٌ مَعلومٌ، يَدخلونَ منه إلى النّارِ، كلٌّ يدخُلُ مِن بابٍ بحسَبِ عمَلِه، ويستقِرُّ في دَرْكٍ بقَدْرِ فِعْلِه[4].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/61.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (قسم).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (قسم).
(4) ابن جرير، جامع البيان: 14/72، والقرطبي، الجامع لأحكام: 10/30، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/536.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة جملة ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ﴾:

تعظيم هولِ الدخول إلى جهنَّم، فكيف بمن استقرَّ فيها؟

تحتمل الجملة أن تكونَ مستأنفة، وهو الظاهر، لتفيدَ التَّفصيل بعد الإجمالِ، فإنَّه لمّا ذكر أنَّ جهنَّم موعدهم؛ فصَّل أماكنَ وعدِهم، وتحتمل أن تكون خبرًا ثانيًا لـ﴿وَإِنَّ﴾[1]، فيكون قد أخبر عن جهنَّم بأنَّها مكانُ وعدِهم، وبأنَّ لها سبعةَ أبوابٍ، وفائدة تعدُّد الخبر بيانُ عِظَم شأنِها وهولِ موضِعِها، فإنَّ الخبر يتعدَّد فيما يكون للمبتدأ شأنٌ ينبغي التَّعريفُ بجميع أحوالِه ممّا يتعلَّق بالمخاطَبِ.

سرُّ التَّعبير بقولِه: ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ﴾:

لكلِّ بابٍ من أبوابِ جهنَّم خَصوصيَّتُه من العذاب والنَّكال

الظّاهر أنَّ المراد من الأبواب ظاهرُها، والمعنى: لها سبعة أبوابٍ يدخلونها، ليفيد أنَّ لكلِّ بابٍ خصوصيَّتَه في العذاب والنَّكال، وليشعر لفظ الباب بأنَّها دارُهم ومكانُ استقرارِهم، وأنَّه إذا أقفل الباب؛ فلا مفرَّ حينئذٍ، ويحتمل أن يكون المرادُ بالأبوابِ الطبقاتِ، على طريق الكنايةِ عَنْ طَبَقاتِ جَهَنَّمَ؛ لِأَنَّ الْأَبْوابَ تَقْتَضِي مَنازِلَ، فَهِيَ مَراتِبُ وطبقاتٌ، بعضها أسفل من بعضٍ، ينزلونها، والمعنى لجهنم سبعة أطباق، لكلِّ طَبَق من أتباع إبليس نصيبٌ مقسومٌ، وعبِّرَ بالأبواب عن الطبقاتِ للإشعارِ بأنَّها دارُهم وموضعُ استقرارِهم كما مرَّ[2].

سببُ إيثار تعدُّد أبوابِ جهنَّم:

تنوُّع أبوابِ جهنَّم للإسراعِ بتعذيب الغاوين، ولاختلاف مراتبِهم في جهنَّمَ

الحكمة في تعدُّد أبواب جهنَّم مع أنَّ اللّه قادرٌ على أن يدخل أهلها فيها دفعةً واحدةً هو الإيذانُ بكثرة أهلِها وبسرعة تعذيبهم، وعدم تأخير عذاب بعض منهم، ولأنَّه لمّا كانت مراتبُ الغوايةِ مختلفةً اختلفت مراتبهم في جهنَّم، فكان لكلِّ بابٍ منهم جزءٌ مقسومٌ على

---

(1) العكبري، التبيان في إعراب القرآن: 2/782، وابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 11/461.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 17/105، والماتريدي، تأويلات أهل السنّة: 6/443، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/212، وابن عاشور، التحرير والتنوير14/53.

حسبِ غوايتِه، كما أنَّ تعدُّد أبواب الجنة لكثرتِهم ولسرعة تنعُّمهم، وعدم انتظارهم[1].

سبب إيثار تخصيصِ العدد ﴿سَبۡعَةُ﴾:

مــواردُ الأبــواب بـحـسـبِ مـواردِ المهلكاتِ

لعلَّ تخصيصَ أبوابِ جهنَّم بالعدد ﴿سَبۡعَةُ﴾ لانحصار مجامع المهلكات في الركون إلى المحسوسات الخمسة ومتابعة القوة الشهوية والغضبية، فيكون العددُ سبعةً، أو لِمناسبته لِمَراتِبِ الإِجْرام، بِأَنْ تَكونَ أُصولُ الْجَرائِمِ سَبْعَةً لتكونَ على وفق الأعضاء السبعة من العين، والأذن، واللسان، والبطن، والفرج، واليد، والرجل؛ لأنَّها مصادر السيئات، فكانت مواردها الأبواب السبعة تَتَفَرَّعُ عَنْها جَميعُ المَعاصِي الكَبائِرِ، ولمّا كانت هي بعينها مصادر الحسنات بشرط النِّيَّة، والنِّيَّةُ من أعمال القلب زادت الأعضاء واحدًا، فجعلت أبواب الجنان ثمانية، وأجاز ابن عاشور وغيرُه أن يكون العدد ﴿سَبۡعَةُ﴾ مُسْتَعْمَلًا فِي الْكَثْرَة، فلا يقصد بالعدد خصوصُه[2]، وهو وجه وجيه فإنَّ العدد سبعة ومضاعفاته يُستعمل كثيرًا في اللغة للكثرة والمبالغة.

فائدة إيثار الإضافة في: ﴿سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ﴾:

تشويق السامع إلى معرفة تمام الخبر

قال: ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ﴾، ولم يقل: (لها أبواب سبعة) لتشويق السامع بعد ذكر العدد سبعة إلى معرفة ماهية هذه السبعة، أهي سبعة أشكال، أو سبع طبقات، أو سبعة خزائن؟ فجاءت الإجابة بذكر التمييز المضاف ﴿أَبۡوَٰبٖ﴾، للدلالة على كثرة أبوابها، كثرة مقيدة بالعدد، أو كثرة مطلقة، لا حد لها ولا منتهى، على الاحتمالين الواردين في المراد من العدد سبعة، من حقيقة العدد، أو المبالغة في الكثرة.

(1) الشهاب، عناية القاضي: 5/295.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/212، والبقاعي، نظم الدرر: 11/61، والخطيب الشربيني، السراج المنير: 2/203، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/53، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/4090.

دلالة جملة ﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾:

لمّا كانت هذه الجملة صفةً لـ﴿أَبْوَابٍ﴾، وكانت الصِّفةُ على معنى تقييد الموصوف النَّكرة؛ أفادت الجملة بيان وصفِ الأبواب لما يفيدُه تنكيرُها من معنى الإبهامِ في بيانِ فائدتِها، فجاءت الصِّفة لبيانِ أنَّ لِكُلِّ بابٍ من الأتباع أو الغواة جُزْءًا مَقسومًا، ففيه تحذيرٌ من متابعةِ إبليسَ ووعيدٌ للغاوين.

تحذيرُ الغاوين ووعيدهم من متابعةِ إبليسَ

بلاغة الإيجاز في الآية:

لمّا جاءت الجملة - في قولِه تعالى: ﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ - صفةً لـ﴿أَبْوَابٍ﴾ أفاد التَّعبير أنَّه بتقدير (لكلِّ بابٍ من الأبوابِ السبعةِ منهم جزءٌ مقسومٌ)، فحُذِفَ (من الأبواب السبعة) إيجازًا في الكلامِ، وانتظامًا في تأليفه وبلاغةِ تعبيرِه.

الإيجاز بالحذفِ لانتظامِ الكلامِ وبلاغة التَّعبير

دلالة قولِه تعالى: ﴿مِّنْهُمْ﴾:

لمّا تقدَّم الجار والمجرور على متعلِّقه ﴿جُزْءٌ﴾ أفاد الحاليَّة، بمعنى: لكلِّ بابٍ جزء مقسومٌ حالَ كونِ هذا الجزءِ من الغاوين خاصَّةً، لا يشاركهم فيه أحدٌ من عبادي المخلصين[1].

اختصاص تقسيم الغاوين بأبواب جهنم

نكتة التَّعبير بقولِه: ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾:

لمّا كان الجزءُ بعضَ الشيءِ، وجمعُه أجزاء، وكان المقسومُ من القسم، وهو إفراز النصيب عن غيره، بمعنى تمييز كلِّ قسم عن سواه؛ أفادَ التَّعبيرُ أنَّ أتباعَ إبليسَ أو الغاوين يجمعهم شيءٌ واحدٌ، استحقّوا به جهنَّم، وأنَّه تعالى يُجَزِّئُ أتباعَ إبليسَ أو الغاوين جميعًا أجزاءً مقسومةً معلومةً، فيكون لكلِّ بابٍ جزءٌ من الأتباع مقسومٌ يتميَّز عن سواه من الأقسامِ، بحيث تربط بينهم معصيةٌ ما، ويجمعهم ولاء ما، فلمّا اشترك هذا الجزءُ بالمخالطة ونوعِ الغواية

اشتراكُ الغاوين في نوعِ المعصيةِ في الدُّنيا يوجب مشاركتَهم في العقوبةِ ومكانها في الآخرة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/61.

في الدُّنيا؛ كانَ عليهم الاشتراك في العقوبة والنَّكال يومَ القيامةِ، فكلٌّ يدخل من بابٍ بحسب عمله، ويستقرُّ في دركٍ بقدر غوايته[1].

فائدة تنكير الموصوف ﴿جُزْءٌ﴾:

التعظيم والتكثير في العدد والتحقير في المنزلة

أفاد تنكير الموصوف ﴿جُزْءٌ﴾ عِظَمَ هذا الجزء وكثرة أفراده من ناحية، كما أفاد تحقيره وتحقيرهم وضعفهم من ناحية أخرى، ويزيد من حقارتهم وضعفهم أنَّ هذا جزء من كُلٍّ أولًا، ثم هو مقسوم إلى أقسام كثيرة مرة ثانية، فقسمة الجزء تزيد هذه الأقسام التي هي بعض الجزء ضعفًا وحقارة.

(1) الراغب، المفردات: (قسم)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/536، والشعراوي، تفسير الشعراوي: 12/7709.